11. الفصل العاشر

أبرز القادة في عصر الدولة الإخشيدية

تولي حكم مصر (11) والياً خلال ثلاثين سنة[235] وهي الفترة بين سقوط الدولة الطولونية وقيام الدولة الإخشيدية (- - وكانت تجربة ابن طولون ودولته قد فتحت العيون علي ما يمكن أن تقدمه مصر لمن يتولاها من إمكانيات فهي قاعدة عسكرية اقتصادية كبري - لذلك حرص الأذكياء من الولاة أن يثبتوا أقدامهم فيها ولكن لم يتمكنوا من ذلك لحرص الخلفاء العباسيين ووزراءهم علي تغيير الولاة بكثرة في مصر في ذلك الوقت حتي لا يتمكن أحد الولاة من الاستقلال بها لذلك نجد عدد الولاة في مدة 30 سنة 11 والي وهو عدد كبير بالنسبة لهذه المدة القصيرة نسبياً إلي أن جاء الإخشيد عندما أسس في مصر دولة شبه مستقلة ذات قوة لا يستهان بها وأورثها لأربعة من ذريته -)[236] ، وكانت الفترة بين سقوط الدولة الطولونية وقيام الدولة الإخشيدية قد شهدت صراع مرير وعنيف بين الخلافة العباسية السنية والخلافة الفاطمية الشيعية التي أسسها الفاطميون في المغرب ، ولم تسلم مصر من هذا الصراع بل إنها كانت مسرحاً للمعارك بين الجانبين (- - ولا شك أن وقوع الصدام أكثر من مرة علي أرض مصر بين الخلافة العباسية السنية والخلافة الفاطمية الشيعية قد أنزل كثيراً من الأضرار بالمصريين وعرضهم لمتاعب قاسية من جانب الجنود فساءت أحوال البلاد وتعرضت مرافقها للإهمال - -)[237] إلي أن قامت الدولة الإخشيدية ليعود الاستقرار إلي مصر مرة أخري ،

والإخشيد مؤسس هذه الدولة كان المخلصين للخلافة العباسية وكلمة الإخشيد ليست اسمه ، ولكنها لقبه أما اسمه فهو أبو بكر محمد ابن طغج ، ولقب الإخشيد هو اللقب الذي يتلقب به ملوك أحد بلاد ما وراء النهر وتسمي فرغانة ، وكان محمد بن طغج من أصل فرغاني ولأنه أصبح أميراً كبيراً فكان من الطبيعي أن يلقب بلقب الأمراء والملوك في بلاده الأصلية ، وكان من أشجع القادة المقاتلين في الجيش العباسي وقد شارك والي مصر في قتال الفاطميين مما جعله ينال ثقة الخليفة العباسي " الراضي بالله " حتي أنه قام بتعيينه والياً علي مصر وأعطاه حق توريث حكم مصر لأولاده من بعده وهذا يؤكد قدرة الإخشيد علي السيطرة علي حدود الدولة العباسية المضطربة بفعل الفاطميين القادمين من الغرب وبالفعل لم يتمكن أحد منهم من دخول مصر بالقوة إلا بعد انهيار الدولة الإخشيدية بوفاة كافور الإخشيدي كما سنري

أما الراضي بالله فهو الخليفة رقم 39 في قائمة الخلفاء[238] وفي عهد هذا الخليفة بلغت الدولة العباسية قمة الضعف بحيث أن الخليفة لم يعد يسيطر إلا علي بغداد فقط تقريباً ، وهذا ما فهمته من كلام الإمام السيوطي حيث ذكر في كتابه تاريخ الخلفاء ما يلي (- - وفي سنة خمس وعشرين "325هـ " اختل الأمر جداً وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها ، أو عامل لا يحمل مالاً ، وصاروا مثل ملوك الطوائف ، ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد ، - - - - ولما ضعف أمر الخلافة في هذه الأزمان ووهت أركان الدولة العباسية ، وتغلبت

---

[235] موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صفحة 82

[236] موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صفحة 82

[237] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 125

[238] تاريخ الخلفاء (السيوطي) صفحة 308

القرامطة والمبتدعة علي الأقاليم ، قويت همة صاحب الأندلس الأمير عبد الرحمن بن محمد الأموي المرواني ، وقال : أنا أولي الناس بالخلافة وتسمي بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، واستولي علي أكثر الأندلس وكانت له الهيبة الزائدة والجهاد والغزو والسيرة المحمودة – –)[239] ، وأكد الإمام السيوطي أن ثلاثة في العالم كله في ذلك الوقت كانوا يلقبون بلقب أمير المؤمنين منهم طبعاً الراضي بالله وصاحب الأندلس والخليفة الشيعي الفاطمي بالقيروان ، وكما طلب ابن طولون من الخليفة العباسي الحضور إلي مصر واتخاذها مقراً له خوفاً عليه من مؤامرات الأتراك ، فعل الإخشيد نفس الشئ وطلب من أمير المؤمنين أن يحضر إلي مصر (– – فالتقي به الإخشيد في الشام ، وأبدي له بالغ الاحترام والتقدير ودعاه إلي ترك بغداد والمجئ إلي مصر والإقامه فيها ، وقال للخليفة : " يا أمير المؤمنين أنا عبدك وابن عبدك وقد عرفت الأتراك وغدرهم وفجورهم ، فالله في نفسك ، سر معي إلي الشام ومصر فهي لك وتأمن علي نفسك " ولكن الخليفة فضل ألا يترك عاصمة ملكه ورفض عرض الإخشيد ، ولا شك أنه لو أتيح للإخشيد أن ينجح في جذب الخليفة إلي مصر لتغير – إلي حد ما – مستقبل الخلافة ومستقبل مصر ، وإذا كان الإخشيد قد أخفق في جعل مصر مركزاً للخلافة العباسية ، فإن ذلك الأمر قد تم فيما بعد علي يد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في سنة 659 هـ " 1261م ")[240] ، ومن هنا يتضح أن الإخشيد كان حريصاً علي الخليفة العباسي ومخلصاً له أشد الإخلاص

وقد تولي حكم مصر من الإخشيديين بما فيهم الإخشيد وكافور خمسة أمراء وهم علي الترتيب أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد وأبو القاسم أنوجور ابن الإخشيد وأبو الحسن علي ابن الإخشيد وأبو المسك كافور[241] خادم الإخشيد وأبو الفوارس أحمد ابن علي ابن الإخشيد حتي دخلها القائد جوهر الصقلي في شعبان 358 هـ / يونيو 969 م[242] وخطب للمعز الفاطمي علي المنابر بمصر وكانت فترة حكم الإخشيديين حولي 34 سنة من أغسطس 935 م إلي يونيو 969م

---

[239] تاريخ الخلفاء (السيوطي) صفحة 309

[240] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 130 ، 131

[241] كان للإخشيد عبد أسود خصي اسمه كافور وكان كافور هذا مربي أولاد الإخشيد ومعلمهم وأستاذهم وكان شديد الإخلاص للإخشيد ولدولته ، كما كان قائداً لبعض المعارك التي خاضها جيش الدولة الإخشيدية وغاية القول عن هذا الرجل أنه كان رجل دولة وكان عبداً ولكنه كان فلتة من فلتات الزمن ونادرة من النوادر ، فبالرغم من أنه عبد إلا أنه كان يتميز بصفات تؤهله للقيادة والإمارة بلا مبالغة ، ويكفي أن أقول لك عزيزي القارئ أن كافور هذا قد أصبح وصياً علي أولاد الإخشيد بعد موته وكان محافظاً علي الدولة بعد موت مؤسسها وبوفاة كافور انتهت الدولة الإخشيدية واقتحم الجيش الفاطمي مصر أي أن الدولة الإخشيدية كانت عبارة عن شخصين فقط هما الإخشيد نفسه ثم كافور وبوفاة آخرهما انتهت الدولة

[242] موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صفحة 85

أبو بكر الإخشيد :

قال المقريزي عن أبو بكر محمد ابن طغج الملقب بالإخشيد ما يلي (– – وكان حازماً شديد التيقظ في حروبه ، حسن التدين ، مكرماً للأجناد ، شديد – لا يكاد يجر قوسه غيره ، حسن السيرة في الرعية ، نجيباً شهماً – –)243 (– – وشهدت مصر في عصر الدولة الإخشيدية رغم قصره نشاطاً حضارياً مزدهراً في ميادين الفنون والآداب والعلوم ، ويتضح ذلك من تشييد العمائر وإنتاج التحف والآثار الفنية التي تمثل شتي ميادين الفن الإسلامي – –)244 ، (– – وتميز عهد الإخشيديين بظهور عدد من أعلام الفقه من أبناء مصر كان لهم نشاطاً مرموقاً –)245 ، (– – واهتم الإخشيديون بانتعاش الأحوال الإقتصادية في مصر وأولوا عنايتهم بالزراعة والصناعة والتجارة ، أما الزراعة فكانت الحرفة الأساسية لمعظم السكان ، وتمثل المورد الرئيسي لدخل الدولة ، ولم يكن إيجار الأرض الزراعية مرتفعاً في العصر الإخشيدي ، إذ كان يتراوح بين دينار واحد وبين دينارين ونصف دينار للفدان في السنة حسب جودة الأرض – وقد بذل كافور الإخشيدي جهده لتنمية الزراعة ، حتي زاد خراج مصر علي أربعة ملايين كل سنة وبلغ خراج الفيوم وحده سنة 356هـ "976م" في عهد كافور أكثر من 620 ألف دينار)246 ، ، أما عن الصناعة فيقول د محمود الحويري (– – وإلي جانب هذا كانت مصر بلداً صناعياً هاماً في العصر الإخشيدي ، فاشتهرت بصناعة النسيج الرقيق في تنيس ودمياط وشطا ودبيق ، وامتازت بصفة خاصة بالأقمشة ذات الخيوط الذهبية التي كانت تصدرها إلي العراق ، وقد ظل الخلفاء العباسيون في عهد الإخشيد يستمدون من مصر أكثر ما يلزمهم من المنسوجات النفيسة المحلاة بكتابات كوفية فيها العبارات والأدعية المعروفة – – وظهرت في العصر الإخشيدي صناعة الورق التي حلت محل البردي وترجع أول وثيقة حكومية من الورق إلي عام 912م ، كما ترجع آخر وثيقة حكومية من ورق البردي إلي عام 935م ، يضاف إلي هذا اشتهار مصر حينئذ بصناعة الأسلحة والتحف الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة والجواهر الثمينة – – واحتفظ نهر النيل بمكانته الهامة في نقل التجارة الداخلية بين شمال مصر وجنوبها في العصر الإخشيدي –)247

وكانت الدولة الحمدانية في حلب معاصرة للدولة الإخشيدية في مصر ، وتتبع أيضاً الخلافة العباسية في بغداد وكان حاكمها يُدعي سيف الدولة الحمداني وكان من أمراء هذه الدولة أيضاً أبو فراس الحمداني الشاعر والفارس الشهير وكان هناك صراعات للاسف بين الدولتين علي الحدود ومن هذا ما ذكره د الحويري (– – ومن المصاعب الخارجية التي واجهت الإخشيد غارات الحمدانيين أصحاب الموصل وحلب علي ممتلكات الإخشيديين في الشام ، فقد سار سيف الدولة الحمداني نحو الشام ، وهزم جيشاً بقيادة كافور علي نهر العاصي ، فاضطر الإخشيد إلي أن يخرج بنفسه علي رأس جيش كثيف في نفس العام واستطاع ان يسترد دمشق ، وأوقع الهزيمة

---

[243] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 127 (نقلاً عن المقريزي)

[244] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 133

[245] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 134

[246] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 135

[247] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 136

بجيش سيف الدولة في حمص وقنسرين – –)[248] ومع ذلك فقد فضل الإخشيد عقد معاهدة صلح بينه وبين سيف الدولة رغم هذا الإنتصار الساحق وذلك يعود لسبب مهم جداً هو أن الإخشيد كان حريصاً علي بقاء قوة الدولة الحمدانية لتظل أحد العناصر التي تواجه الروم وتصد غاراتهم ، وكان الروم يخشون بطش الحمدانيين والإخشيديين ولذلك قرر الإمبراطور رومانوس ليكابينوس أن يقيم علاقة طيبة مع الخليفة العباسي والإخشيد أيضاً ، وكان يتبادل الرسائل الودية معهم (– – وقد أورد القلقشندي نص الرسالة المطولة التي وجهها الإخشيد للإمبراطور رومانوس رداً علي رسالته ، ومن مضمونها يتبين لنا حرص رومانوس علي إقامة علاقات ودية وتبادل الأسري وتعزيز التبادل التجاري ، وفي ذلك يقول (– وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه وما اختاروه ، لأنا وجدنا جميعه لا يخطره علينا دين ولا سياسة –)[249] والجدير بالذكر أن المتنبي الشاعر الشهير كان يعيش في ذلك الوقت عاش المتنبي أفضل ايام حياته واكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعرحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي . وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. وقد مدح سيف الدولة كما عاتبه أيضاً في قصيدة شهيرة فيما يلي بعض مقتطفات منها :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي "فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا " "باننـي خير من تسعى به قـدم
انا الذي نظر الأعمى إلى أدبـي " وأسمعت كلماتي من به صمـم
إذا رأيـت نيوب الليـث بارزة " "فلا تظنـن أن الليـث يبتسـم
الخيل والليل والبيـداء تعرفنـي " "والسيف والرمح والقرطاس والقلم
يـا من يعز عليـنا أن نفارقهـم " "وجداننا كل شيء بعدكم عـدم
إن كـان سركم ما قال حاسدنا " "فما لجـرح إذا أرضاكـم ألـم

وعندما مات حاكم مصر أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد وتأثر الناس بموته ورثاه المتنبي فقال :

هُوَ الزَّمَانُ مَنَنْتَ بِالَّذِي جَمَعَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بِدَعَا
لَوْ كَانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنْعَتُهُ لَمْ يَصْنَعِ الدَّهْرُ بِالإِخْشِيدِ مَا صَنَعَا
ذَاقَ الحِمَامَ فَلَمْ تَدْفَعْ عَسَاكِرُهُ عَنْهُ القَضَاءَ وَلاَ أَغْنَاهُ مَا جَمَعَا
لَوْ يَعْلَمُ اللَّحْدُ مَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ فَخَارٍ وَمِنْ نَعْمَاءَ لاَتَّسَعَا
يَا لَحْدُ طُلْ إِنَّ فِيكَ البَحْرَ مُحْتَبَسًا وَاللَّيْثَ مُهْتَصِرًا وَالْجُودَ مُجْتَمِعَا
يَا يَوْمَهُ لَمْ تَخُصَّ الفَجْعَ أُسْرَتَهُ كُلُّ الوَرَى بِرَدَى الإِخْشِيدِ قَدْ فُجِعَا

[248] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 129
[249] مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 130

أبو المسك كافور الإخشيدي :

في أواخر عصر الدولة الإخشيدية وعندما تولي أبو المسك كافور الأخشيدي حكم مصر ، وقعت في مصر هزة أرضية عظيمة خافوا الناس من ذلك وهربوا إلي الجبال وتشاءم الأمير كافور من الأمر واعتزل الناس ، حتي أخرجه من عزلته شاعر مصر الرسمي محمد بن عاصم ، إذ دخل عليه وألقي قصيدة عصماء بين يديه منها هذا البيت :

ما زلزلت مصر من خوفٍ يرادُ بها
لكنها رقصت من عدلهِ طربا

قصيدة دفع فيها أبو المسك كافور ألف دينار ذهباً ، وهذه الجائزة هي السبب الحقيقي الذي جعل المتنبي يشد رحاله إلي كافور ، فإذا كان يدفع ألف دينار إلي شاعر مثل محمد بن عاصم فكم يدفع لشاعر في وزن المتنبي ، وبالفعل حضر أبو الطيب المتنبي إلي مصر ومدح كافور في قصيدة شهيرة هذه مقتطفات منها

كفى بكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أمانِيَا
تَمَنّيْتَهَا لمّا تَمَنّيْتَ أنْ تَرَى صَديقاً فأعْيَا أوْ عَدُواً مُداجِيَا
إذا كنتَ تَرْضَى أنْ تَعيشَ بذِلّةٍ فَلا تَسْتَعِدّنّ الحُسامَ اليَمَانِيَا
حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبّكَ من نأى وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا
خُلِقْتُ ألُوفاً لَوْ رَجعتُ إلى الصّبَى لَفارَقْتُ شَيبي مُوجَعَ القلبِ باكِيَا
وَلَكِنّ بالفُسْطاطِ بَحْراً أزَرْتُهُ حَيَاتي وَنُصْحي وَالهَوَى وَالقَوَافِيَا
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيرِهِ وَمَنْ قَصَدَ البَحرَ استَقَلّ السّوَاقِيا
يُبِيدُ عَدَاوَاتِ البُغَاةِ بلُطْفِهِ فإنْ لم تَبِدْ منهُمْ أبَادَ الأعَادِيَا
أبا المِسكِ ذا الوَجْهُ الذي كنتُ تائِقاً إلَيْهِ وَذا اليَوْمُ الذي كنتُ رَاجِيَا
أبَا كُلّ طِيبٍ لا أبَا المِسْكِ وَحدَه وَكلّ سَحابٍ لا أخُصّ الغَوَادِيَا
إذا كَسَبَ النّاسُ المَعَاليَ بالنّدَى فإنّكَ تُعطي في نَداكَ المَعَالِيَا
وَغَيرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلْكاً للعِرَاقَينِ وَالِيَا

ولكن لم يتحقق ما كان يتمناه المتنبي من كافور ، فهجاه بعد ذلك وقد كتب الكاتب الساخر الكبير محمود السعدني عن كافور في كتابه الممتع مصر من تاني ما يلي : (لقد كان عمنا كافور صاحب فضل وصاحب علم ، وكان لا يصاحب إلا أعلم أهل زمانه ، وكان من حاشيته علماء النحو وعلماء الفقه وأعدل القضاة ، وكانت موائده العامرة مبذولة للجميع ، ودواره مفتوحة للفقراء قبل الأثرياء ، وكان لمطبخه في كل يوم ألفا رطل من اللحم البقري وسبعمائة رطل من اللحم الضأن ، ومائة طير أوز ، وثلاثمائة طير دجاج ، وثلاثمائة فرخ حمام ، وعشرون فرخ سمك كبار ، وعشرون جملاً رضع ، وثلاثمائة صحن حلوي ، وألف قفص من تفاح ، ومائة قربة من السكر ، وكان يحضر علي سماطه الخاص والعام)[250]

---

[250] **من كتاب (مصر من تاني) تأليف (محمود السعدني) صفحة 27**

وقد اضطربت أحوال مصر بعد وفاة كافور وأصبحت جاهزة تماماً للزحف الفاطمي من الغرب وقد كان المعز لدين الله الفاطمي ينتظر هذه اللحظة لينتزع مصر من الخلافة العباسية السنية ويضمها للمد الشيعي فكان يعد العدة لذلك ويقول عن ذلك د محمود الحويري (– بدأ المعز لدين الله الفاطمي يعد العدة لفتح مصر ، فحفر الآبار علي الطريق من أفريقية إلي برقة ، وأنشأ النزل علي رأس كل مرحلة من هذا الطريق ، وعندما وصلته الأخبار بموت كافور الإخشيدي جهز جيشاً ضخماً بلغ تعداده مائة ألف مقاتل أغلبهم من القبائل البربرية عهد بقيادته إلي قائده جوهر الصقلي ، وقد تجمع هذا الجيش في مدينة القيروان ، وهناك التفت المعز إلي المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال : والله لو خرج جوهر هذا وحده ليفتحن مصر وليدخلنها بالأرديه من غير حرب ----- ويبني مدينة تسمي القاهرة تقهر الدنيا – –)[251]

وهكذا نري أن وفاة شخص واحد قد تغير مجري الأحداث تماماً ، فكل ما حدث أن كافور مات فقط ، ولم يحدث أي شئ آخر في مصر وكانت وفاته سبباً في سقوط مصر في أيدي الفاطميين ، إنه أمر يقودنا بالتأكيد لتذكر طبيعة الشخصيات البارزة في التاريخ[252]

---

[251] **مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 145**

[252] **ذكرنا أنه عند ظهور شخصية بارزة علي مسرح الأحداث تتغير الأحداث ، ولكن يبدو أن اختفاءه أيضاً يغير الأحداث ، فلم يقرر أو إن شئت فقل لم يجرؤ المعز لدين الله أن يرسل جيشه بقيادة جوهر الصقلي إلي مصر إلا بعد أن تأكد من وفاة كافور**